مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاخبار
التاريخ: ١٩٧٣/١٠/٢٧

كل شئ غير هادئ فى السويس

صدر البيان .. وفى نفس اليوم بدأ القتال عند الكيلو ٩٩ فى ١٩٥١ أوقف شعب السويس تقدم القوات البريطانية .. وفى ١٩٥٦ فشل العدو فى الفوز من ناحية البحر

كان كل شيء هادئا فى السويس وفجأة هاجم طيران العدو المدينة وبعد ٢٤ ساعة حرك دباباته محاولا اقتحام المدينة وغزوها والسيطرة عليها . ولكن كانت توجيهات الرئيس انور السادات قد صدرت فى صباح اليوم نفسه باشراك قوات المقاومة فى شرف القتال وفى مساء نفس اليوم كان شعب السويس يقدم أول بيان عملى للقتال المتلاحم بين المقاومة والجيش الشعبى وقواتنا المسلحة .. ووقفت السويس صامدة .

وكانت قواتنا المسلحة تعبر الى الضفة الشرقية من القناة لتؤدى مهامها القتالية فى سيناء ، نبض الحياة فى المدينة القابعة عند الخليج لم يتوقف لحظة واحدة ، فالسويس قد تمرست خلال تاريخها الطويل على العمليات العسكرية ، حتى اصبحت أولى مدننا المحاربة ..

وحتى يوم الثلاثاء الماضى ظل الموقف كما هو هادئا ..

ثم فوجىء اهالى السويس بغارات جوية على مدينتهم . والناس فى السويس يعرفون كيف يتصرفون أثناء المعارك ، وبهدوء وثقة ، وكل شخص يعرف مكانه .. ولكن الطيران الاسرائيلى كان يقصد - ضرب الاهداف المدنية وضرب مواقع قواتنا المسلحة هناك . ولم ينجح الا فى الاغارة على مصانع البترول بمنطقة الزيتية ، ولم يحدث أثرا واحدا بسبب قوة دفاع المنطقة .

كما حاول ضرب مصانع الاسمدة فى منطقة عتاقة ، ولم يفلح أيضا ..

وفى هذا اليوم سقط شهيد مدنى واحد ، واصيب ثمانية من المدنيين بجراح ليست خطيرة ..

وكانت هذه الغارة الجوية فى اليوم الثانى لقرار وقف اطلاق النار ..

وبعد ٤٨ ساعة من صدور قرار وقف اطلاق النار ، حاول العدو فى صباح الاربعاء الماضى قطع الطرق المؤدية الى مدينة السويس ، ولكن وقفت القوات المصرية ، كما ذكر البيان رقم ٥٨ الصادر من القيادة العامة للقوات المسلحة ، تمنعه بالقوة من تنفيذ اهدافه .

وحتى هذا الوقت كانت الاتصالات بين القاهرة والسويس مستمرة ، فقد أجرى محمد أبو المجد مرزوق امين الاتحاد الاشتراكي اتصالا بالسويس ، وكان فى مهمة عاجلة للقاهرة ، وتحدث مع محمد بدوى الخولى محافظ السويس والحاكم العسكرى ، كما تم اتصال اخر بين امين السويس وغرفة العمليات حتى عرف منها اخر تطورات الموقف ، ونتائج الغارة الاسرائيلية على المدينة وقام بابلاغها للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى ، كما اجرى اتصالين اخرين بأمين مساعد قسم الميناء ، وامين الدفاع الشعبى .

فى نفس ذلك الوقت كان فاروق عبد الله مدير العلاقات الصناعية بشركة السويس لتصنيع البترول يتصل تليفونيا بمعامل الشركة فى منطقة الزيتية لمتابعة الموقف هناك .. وكانت كل المحادثات التليفونية والاتصالات تؤكد ان مصانعنا سليمة ، وان العدو لم يستطع خلال الغارة الجوية ان يحقق اهدافه فيها ..

توقع جولة جديدة

واستمرت الاحداث طوال يوم الاربعاء .. ولكن كانت المدينة الهادئة القابعة عند مدخل الخليج تستعد لجولة جديدة ..

ولم يطل الانتظار طويلا .. ففى الساعة الرابعة والثلث مساء . والناس فى السويس يجهزون لافطارهم . فالرجال هم الذين يتولون عمليات اعداد الطعام بانفسهم ، منذ ان رحلت عائلاتهم ضمن برامج التهجير التى اشرفت عليها الدولة لسكان المدينة .. اذاعت القاهرة البيان رقم ٥٩ الذى جاء فيه ((ان العدو حرك مجموعات من دباباته فى اتجاه مدينة السويس ، وحاولت اقتحامها . فتصدت لها قوات مدينة السويس ، ودمرت منها ثلاث عشرة دبابة ..))

ثم قطع راديو القاهرة نشرته الاخبارية فى الساعة الثامنة واذاع تصريحا لمتحدث عسكرى جاء فيه ان قواتنا تقوم بمقاتلة العدو فى غرب قناة السويس ، وقد التحم الجيش والشعب فى ضرب عدد من الدبابات الإسرائيلية التى هاجمت مدينة السويس ، فاصابت منها عددا كبيرا. وتكبد العدو خسائر فادحة))واستطاع الشعب الملتحم مع الجيش أن يقف فى وجه القوات الاسرائيلية المتقدمة .. وصمدت السويس .

وفى مساء يوم الخميس أول امس .. تمكنت قوات السويس من تدمير احدى عشرة دبابة اسرائيلية اخرى .. كما أكد البيان رقم ٦١ ، وبذا تمكنت قوات السويس من تدمير ٢٥ دبابة اسرائيلية حاولت اقتحام المدينة .

اول بيان عملى

لقد صدرت توجيهات محمد انور السادات القائد الاعلى للقوات المسلحة باشتراك قوات المقاومة الشعبية والجيش الشعبى فى شرف القتال المتلاحم مع رجال القوات المسلحة ضد العدو الاسرائيلى ، الذى نقض موافقته على قرار مجلس الامن بايقاف القتال .. واشتراك سائر قوات المقاومة الشعبية والجيش الشعبى بمختلف انحاء البلاد فضلا عن أنه سيثبت تفوق العنصر البشرى المصرى الذى تخشاه اسرائيل ، فانه يتفق مع عقيدتنا جميعا بان المعركة هى معركة كل الشعب ، ويتفق مع تقاليدنا التاريخية العريقة فى دفع الغزوات البربرية بكل ماتملك من وسائل وسلاح .

ولم تمض ٢٤ ساعة على صدور هذه التوجيهات من رئيس الجمهورية ، حتى كان أول بيان عملى للقتال المتلاحم بين المقاومة الشعبية والجيش الشعبى وقواتنا المسلحة يدور بالقرب من مداخل السويس ، كان رجال المقاومة الشعبية ـ الذين بدأوا يتدفقون على المدينة الصامدة ، ورجالها الذين يأخذون مراكزهم بالداخل ـ قد بدأوا عملياتهم العسكرية فعلا ضد دبابات العدو المتقدمة نحو المدينة .

وبمجرد اذاعة القرارات الخاصة باشراك قوات المقاومة فى شرف القتال . بدأ تدفق جموع الشباب من ابناء السويس على مقر الاتحاد الاشتراكى العربى المؤقت فى منطقة غمرة لقيد أسمائهم وترحيلهم فورا الى المدينة .. فشباب الجامعات والمعاهد من ابناء السويس المهجرين فى محافظات اخرى كانوا يستعدون لهذا اليوم .. فنتيجة للظروف الطويلة القاسية التى مروا بها وتعرضوا اكثر من مرة للغزو .. قد تدربوا على حمل السلاح بل وشارك الكثيرون منهم فى عمليات مسلحة ، وقاموا بدور كبير خاصة أثناء عدوان ١٩٦٧

ماذا حدث

وصباح يوم الاربعاء .. اذاع العدو انه تمكن من تطويق السويس ومحاصرتها .. فماذا حدث فى هذه الساعات ؟

كانت قوات العدو من الدبابات قد بدأت تتحرك جنوب منطقة فايد. الى المنطقة الصحراوية ، الى قرية جنيفة ثم بالطريق الصحراوى عند الكيلو ٩٩ حتى كشك العوايد الذى يبعد عن حى الاربعين الشعبى بخمسة كيلو مترات فقط ..

كان رجال المقاومة فى السويس

ينتظرون هذا اليوم منذ اكثر من ست سنوات . كان معظمهم قد اشترك فى عدة عمليات عسكرية أيام ١٩٦٧ ، من مواقعه فى مدينة بور توفيق .

وعند مدخل خليج السويس :

وقف شباب المقاومة الذى رفض ان يغادر السويس ، ورفض فكرة التهجير ، طوال ٦ سنوات وفضل أن يعيش بعيدا عن الاهل والاحباب . وقف يوم الاربعاء فى مواقعه .

وسهر مكتب الاتحاد الاشتراكي للسويس فى فرعه المؤقت بغمرة حتى الصباح يستقبل وفود شباب الجامعات والمعاهد العليا من ابناء السويس المهجرين . يسجلون اسماءهم للانخراط فى صفوف القتال .. وهم يعرفون طريقهم الى السويس .

معارك الشرف

ولم تكن هذه أول مرة يلتحم فيها شعب السويس مع قواته فى صد الغز والعدوان ، لقد وقفت المدينة الهادئة فى وجه العدوان الاسرائيلى صامدة . بل وكبدته خسائر فادحة اشار اليها المتحدث العسكرى .. وغدا تكشف البيانات عما دار من معارك على مشارف السويس ، عند مجرود وكشك العوايد ، عند فايد ، وكبريت وكسفريت وجنيفة .

بل وعلى فترات تاريخية امام قوات الغزو ..

فقد وقفت السويس فى ديسمبر ١٩٥١ ، وصمدت امام قوات الاحتلال البريطانى اكثر من مرة ، ودارت أكثر من معركة على مشارف المدينة ، ورغم أن القوة لم تكن متكافئة ، الا ان قوات الانجليز لم تستطع أن تقتحم المدينة بل وتكبدت خسائر فادحة ..

ففى هذا الوقت من ديسمبر ١٩٥١ احكمت السويس المتاريس من حولها من ناحية الاسماعيلية تحول الكوبرى الذى يقع على بعد عدة كيلومترات الى نقطة دفاع .

ومن ناحية القاهرة سد الشعب ورجال الشرطة مداخل المدينة ، وعند منطقة كشك المواويد وقف افراد الشعب بسلاحهم الصغير . ينتظرون قدوم القوات الانجليزية .

وفجأة .. تحركت اكثر من عشرين سيارة بريطانية مصفحة الى المدينة .. وبدا صوت الرصاص يسمع فى منطقة الاربعين . وتقدمت السيارات البريطانية المصفحة مع قافلة انجليزية تتكون من ٧٠ سيارة نقل جنودا مسلحين بالمدافع الرشاشة ، وبدأت تطلق نيرانها تجاه المدينة .

واخذ رجال الشرطة مع أفراد المقاومة الشعبية مواقعهم ، انبطح العساكر على الارض ، اتخذوا من مبانى السكة الحديد ستارا ، بينما كان اخرون يتسلقون العمارات ، وينقسمون الى مجموعات تحتل الادوار وتختفى وراء النوافذ .

ولتحركت قوات بلوكات النظام ، كل شخص قادر على مواجهة العدو خرج فى هذا اليوم .. وبعد ان استمرت المعركة ثلاث ساعات ، وسقط شهداء من ابناء السويس ، وافراد قوات الشرطة ، ادركت القيادة البريطانية ان السويس ليست سهلة المنال ، وان الشعب والجنود قد احكموا اغلاق مداخلها تماما .

اسحبوا قواتكم

وهنا اتصل الجانب البريطانى بمحافظ المدينة ، وصرخ البريجادير دير كونفيلد الذى كان مكلفا باحتلال المدينة فى التليفون :

ـ اسحبوا قواتكم .

وردت المحافظة : يجب ان تسحبوا انتم قواتكم اولا . انكم محصنون داخل سياراتكم ومدرعاتكم ، اما نحن فان معنى انسحابنا هو تدميرنا تماما .

وصرخ البريجادير : اسحبوا قواتكم لقد اوقفنا ضرب النار .

ولكن النيران كانت مستمرة . ورفضت السويس الامتثال للامر . واستمرت المدينة تقاوم ، وكان الشباب يتسلل بالقنابل الحارقة وزجاجات المولوتوف والاسلحة الصغيرة ، يهاجم معسكرات الجيش البريطانى من قايد حتى جنيفة ، وكان رصاص الانجليز يتطاير داخل المدينة ، وسقط الشهداء فى الشوارع ، واستشهد فى هذه المعركة ٢٨ مصريا منهم ٧ من رجال الشرطة ، وبلغ عدد الجرحى ٧٠ ، منهم ١٢ من رجال الشرطة ..

اما القوات الانجليزية فقد بلغ عدد قتلاها ٢٢ وعدد الجرحى ٤٠

وفى هذه المعركة شيعت السويس فى جنازة واحدة ١٦ شهيدا وشهيدة من ابنائها الذين سقطوا اثناء المعارك .

وعادت قوات الامبراطورية تسحب جنودها بعد ان اعيتهم المعركة . ولم يستطيعوا ان ينفذوا الى اى مدخل من مداخل المدينة .

اثناء جنازة الشهيد

وعز على الانجليز الا يستطيعوا دخول السويس . فقاموا فى اليوم التالى (٤ ديسمبر ١٩٥١) بمحاولة جديدة . انتهزوا فرصة اشتراك كل شعب السويس فى تشييع جنازة احد الشهداء وخرجت قوة بريطانية قوامها ثلاث دبابات واربع مصفحات وعدد من السيارات المسلحة . واخذت تطلق النيران على المشيعين وعلى الاهالى ورجال الشرطة . وعلى المنطقة القريبة من كوبرى الهويس وطريق الجناين .

ووقف رجال الشرطة وافراد الشعب السويسى يدافعون عن انفسهم وعن مدينتهم . ونشب قتال استمر ساعة صمدت فيها المدينة بعد ان قدمت ١٥ شهيدا منهم سيدة واثنان من رجال الشرطة . اما عدد الجرحى فقد بلغ فى هذه المعركة ٢٩ منهم ٦ من رجال الشرطة .

ودفع الانجليز ثمنا باهظا . فقد بلغ عدد قتلاهم ٢٤ . وعدد الجرحى منهم ٦٧ جريحا . وانسحبت باقى القوة البريطانية دون ان تستطيع دخول السويس للمرة الثانية .. فى يومين متتاليين .

معركة كفر احمد عبده

ثم شهدت السويس واحدة من اشهر المعارك التى شهدها تراب المدينة ، وهى المعركة التى اقترن اسمها بكفر احمد عبده . واصبحت تعرف باسم معركة احمد عبده .

وفى هذا الكفر الصغير الذى يقع على طرف المدينة ، وتتقارب بيوته التى تسكنها ثلاثمائة اسرة يعيش بينهم المواطن الشيخ احمد عبده الذى بنى اول مسكن فى الكفر .. لم يكن هذا الكفر الصغير ولا سكانه البسطاء يدرون انهم سيكونون فى يوم من الايام هدفا عسكريا للقوات البريطانية ..

لقد خسر الانجليز المعركة الاولى والثانية . ولم يستطيعوا بسبب المقاومة الصلبة للاهالى والبوليس ان ينفذوا الى المدينة .

وجعلوا هدفهم هذه المرة كفر احمد عبده ..

وفجأة .. وجه الجنرال اوسكين انذارا الى محافظ السويس يطلب

فيه اخلاء كفر أحمد عبده من الاهالى لازالته من الوجود ، لان القوات البريطانية تنوى اقامة كوبرى لها تصل منه الى وابور المياه . وحدد الانذار ان يتم اخلاء المنطقة فى الساعة السادسة من صباح السبت ٨ ديسمبر ١٩٥١ . وهدد الجنرال أوسكين بان ستة آلاف جندى بريطانى منهم ٤٥٠٠ من جنود فزو الشواطىء وجنود المظلات . و ١٥٠٠ جندى فى ٢٠٠ دبابة سيقومون باخلاء مساكن الكفر ..

واضاف الانذار انه اذا لم يتم الاخلاء فستضطر القوات البريطانية الى نسف هذه البيوت وصدرت التعليمات لقوات الشرطة بان تقاوم الخطة البريطانية . ولكن كان راى المحافظ قد استقر على عدم تنفيذ اوامر وزير الداخلية . وقرر عدم التعرض للقوات البريطانية ، حتى لا يؤدى ذلك الى تدمير المدينة تدميرا كاملا .

وفى الظلام .. غادر سكان كفر احمد عبده مساكنهم . وكان المحافظ قد دبر لاقامتهم مساكن اخرى فى مدرسة البنات او اكشاك الاستحمام المقامة على الشاطىء .

وفى الصباح الباكر من يوم السبت ٨ ديسمبر ١٩٥١ تقدم ستة آلاف جندى . ثم عززتهم القيادة باربعة آلاف آخرين . ونصبوا مدافع الميدان وصوبوها نحو المدينة .. كانوا يخشون انتقام الاهالى البسطاء .

ويقول عبد الرحمن الرافعى من هذه الحادثة ((انه فى الموعد المحدد نسف الانجليز مبانى القرية بالقنابل تحت حماية الدبابات والمدافع . واشعل جنود المظلات النيران فى المبانى التى استعصت على الهدم . وبذلك امكن نسفها .

تاريخ آخر .. وصمود آخر ..

ففى خريف ١٩٥٦ عندما تعرضت مصر للعدوان الثلاثى . كان الاعداء ينظرون للسويس كهدف رئيسى من اهدافهم ، لانها على مدخل القناة . وارادوا أن يتخذوا منها قاعدة يزحفون منها شمالا . كما ارادوا ان يتخذوا من بور سعيد قاعدة يزحفون منها جنوبا . وتتلاقى قواتهم وسط منطقة القناة .

وتنفيذا لهذه الخطة حاول الاعداء انزال قوات برية فى مدينة السويس

وتجمعت طبقا لهذه الخطة سفن بريطانية وفرنسية عند مدخل خليج السويس . واقتربت هذه السفن فى يوم ٣ نوفمبر من ميناء السويس . ولكنها تعرضت لقذائف مدفعية السواحل فشتتتها . ثم هاجمتها زوارق الطوربيد المصرية فاغرقت قطعة بحرية بريطانية . وانسحبت السفن البريطانية والفرنسية الى الجنوب بعيدا عن الشاطىء . وقام الاسطول المصرى بمطاردة هذه السفن .ووقف اهالى السويس يستعدون لمواجهة الغزو .

ولكن الغزو فشل ايضا هذه المرة كما يفشل اليوم .

على نسماته